

## زاد العليل في إيقاعات الكرباسي والخليل

ولأن الفاكهة أنواع كان لابد أن تختلف السلالة وهذه قيمة الثمار المنظوم، وقد أبدع الأديب محمد صادق الكرباسي في كتابيه المتميزين: "هندسة العروض من جديد" و"الأوزان الشعرية .. العروض والقافية" وفيهما جدّد بحور الخليل الفراهيدي (100-175هـ) وأبدع وأضاف، فكان موضع إحصان الأدباء والشعراء وفيه قال الشاعر الجزائري الضليح بحور الخليل: (فحق لصاحب هندسة العروض من جديد أن يُلقَّب بالخليل الثاني اعترافاً بعبقريته في تحديث هذا العلم، والخروج به من دائرة الإنغلاق والسمو به إلى أفق الإنفتاح، شارحاً للناشئة معالمه وفصوله، باسطاً بين أيديهم مفاتيح فهمه، وأشرعة الغوص في بحار معانيه)، وحتى تكتمل قواعد الشعر وبنائه جاء كتاب "بحور العروض" الصادر عام 1432هـ - 2011م، ليشكل ثالث الأثافي، وهو من تقديم وتعليق الشاعر الدكتور عبد العزيز مختار شبّين، في 157 صفحة من القطع الوزيري صادر عن مكتبة دار علوم القرآن بالعراق وبيت العلم للنابهين بلبنان، وبه يستقيم قَدْرُ الشعر ويكتمل قَدْرُهُ.

### منظومة الكرباسي

من الثابت أن بحور الخليل هي خمسة عشر، وهي: الطويل، المتقارب، البسيط، الرجز، السريع، المنسرح، الكامل، الوافر، المديد، الرّمل، الخفيف، الهزج، المضارع، المقتضب، والمجتث، وكلها منبثقة من دوائر خمس هي: المختلف، المتفق، المؤتلف، المجتلب، والمشتبه، وهي في ثمان تفعيلات هي: فعولن، فاعلن، مفاعلتن، متفاعلن، مفاعيلن، مستفعلن، فاعلاتن، ومفعولات، وهذه يتناصفها صدر البيت وعجزه حسب البحر، وزاد الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (... - 215هـ) على البحور "المتدارك"، لكن الأديب الكرباسي في "هندسة العروض" أوصلها إلى 43 دائرة في 210 بحور في إطار التفعيلات الخليلية الثمان، وإذا حاد عنها تألفت دوائر وبحور كثيرة، لكنه تقيّد بما تقيّد به الخليل الأول.

والبحر هو ما يطلق على تقاطيع البيت من الشعر الوزن أو البحر كما في تعريف الكرباسي في "الأوزان الشعرية العروض والقافية: 163"، أو موسيقى الشعر، وتعبير آخر هو نوعية التفعيلات التي تشكل الإيقاع الجميل للبيت، وباختلاف الإيقاع تختلف البحور، وأما العروض بفتح العين هو الوزن الشعري أو ميزان الشعر، أو بتعبير الأديب شبّين في مقدمة الأوزان الشعرية: 8، أن العروض ما هو إلا: (حركات وسكنات، تختلف ترتيباً، لتشكل جزءاً، واجتماع الأجزاء يؤلف مقطعاً، واتحاد المقاطع يكون شطراً، ويتقابل الشطرين يكون البيت في شعرنا العربي).

وحيث فصل الأديب الكرياسي القول في "هندسة العروض" و"الأوزان الشعرية" وزاد الشاعر شديين عليهما تقديمًا وتعليقًا، فإن المؤلف في "بحور العروض" يضع البحور في منظومة شعرية جميلة فيها تستروح النفس ويُسْتسهل معها الحفظ، وقد حاول الكرياسي ما أسعفته المساحة الشعرية وهو يستحضر تفعيلة كل بحر في عجز البيت الأول من المنظومة أن يبت في البيت الثاني وهو بيت الشاهد، قيم الخير ومعاني المحبة لتكون المنظومة ذات رسالة علمية وأدبية وقيمة.

ولأن التفعيلات الثماني تشكل منها البحور التامة فإنه أفرد لها فصلًا مستقلًا، وثناه بفصل للبحور المجزوء ذات التفعيلات السداسية، وثلاث للبحور المنهوكَة المربّعة التفعيلة بفصل ثالث، فكانت منظومة شعرية ذات ثلاث شعب، جميلة النظم والرصف حسنة المظهر والوصف تخترق صدر المتلقي وتحط على فؤاده فتصرعه دون دماء أو تأسره دون عناء.

## محيطات ميزان الشعر

ما يميز الباحث الناقد في تعامله مع أي عالم راحل أو إبداع سابق على عصره أو معاصر له هو الإحترام والتقدير دون جمود وعبودية، والتواضع للعلم دون غرور وعنجهية، وهاتان الصفتان المتلازمتان لكل ناجح في هذه المعمورة نجدها فيما جاء به الكرياسي في مثلث (هندسة العروض والأوزان الشعرية وبحور العروض)، فالمؤلف كما يقول الدكتور شبين وقف على كثير من الكتب الموضوعة في باب الشعر من عهد الخليل إلى يومنا هذا: (فكأنني به قد أحسّ بشيء من الركود يعتري هذا النظام الإيقاعي القديم، وأن هالة من التقديس أحاطته فجعلته من المسلمات التي لا يمكن أن تُناقش، ومن المحرمات التي لا يجوز لأي كان من المساس بها) فكانت الشقائق الثلاث التي أراد بها أن: (يُرسّم للشعراء الموهوبين طريقًا إلى عالم الشعر، ويبني سلماً إلى فضاءاته يهيم البصر دونها حديثاً، وليتسننّي له إخراج العروض من دائرة الجمود، والإنغلاق، والطلاسم التي تنجم عن معضلاته وتعقيداته، التي نكّست محبّييه، وأثقلت كواهل المشتغلين به، خلع عنه رثّ الثياب، وألبسه منها القشيب، ليبدو في حلّة خيوطها البناء المتين، وألوانها هندسة الإبداع الجديد، ومسكها ماء البحور التي تلاطمت أمواجه من مائتين وعشرة بحور، بعضها يلتطم ببعض) وبذا تكون بحور الخليل قد امتزجت ببحور الكرياسي مكونة معا: (محيطات لميزان الشعر أرحب أفقا، وأخصب خيالاً، وأوسع مجالاً، وأغنى معنى ومبنى للشعر السليم).

فبحور العروض، وشقيقاه من قبل، كاشف عن نظرة تطويرية إبداعية للشعر بخاصة وإن المؤلف امتلك ناصية التأصيل للشعر وبخاصة في الشعر العربي والفارسي والأردوي والپشتوي كما هو ظاهر من مؤلفاته المطبوعة، لكنه لم يتنكر للماضين، وكما يقول المعلق: (هذا هو العروض الحديث الذي استلهمه الكرياسي ممّن قبله، فلا هو هدم القديم واعتدّ بعروضه الجديد فيكون مفرطاً، ولا هو بقي على خطى الخليل مقلداً فيكون بذلك مفرطاً، ولكن المبدع امتلك حسّ المهندس وذوق الشاعر، وعبقرية المجدد، فراوح بين النظامين، إذ لا إفراط ولا تفريط في هذا الفن الذي وجبت الإحاطة فيه بعلوم مختلفة كالحساب، والهندسة، والأصوات، والنحو والصرف والبلاغة، والموسيقى، وألفيت الكرياسي في هذه الفنون عارفاً مجيداً).

إذا كان المؤلف في (هندسة العروض) استعرض بالتفصيل كل البحور القديمة والجديدة التامة منها والمجزوء والمنهوك مجتمعة، فإنه في (بحور العروض) أوجز الحديث في الأنماط الثلاثة بشكل منفرد ضمن نظام التفعيلة، فضم الفصل الأول من التفعيلة المئتمنة 210 بحور تامة أربعة أجزاء في الصدر ومثلها في العجز وهي:

المُتقارب، المُتدارك، الهزج، الرّجّز، الرّمل، الوافر، الكامل، المُستزاد، المُطوّل، المُتبسّط، المُستشبه، المُبسوط، المُشدّه، المُبسّط، المُترمل، الشبيه، المُنبسط، المُستزاد، المُطويل، المُديد، المُستطيل، المُبسط، المُمتدّد، المُقرب، المُستدرك، المُكَمَل، المُتكامَل، المُكَمَل، المُكَمَل، المُقارب، المُطويل، المُستقرب، المُتدرك، المُقرب، المُوفر، المُيسّر، المُرمول، المُدارك، المُستغرب، المُدرك، المُغريب، المُشارك، المُرمَل، المُشترك، المُبسّط، المُتشارك، المُخفّ، المُقرّب، المُميز، المُصافي، وفي البحر الأخير يقول صاحب المنظومة:

ألا يا قومي على صاف البحور نظمي ... فعولنّ مستفعلنّ مستفعلنّ فعولنّ

فهذا لونّ من الأوزان لو نظمتُمّ ... عليه .. بيتاً عشقتُم أن تباهلوا الفنّ

ثم: المُتمايز، المُصفي، المُغرب، المُزج، المُصطفى، المُتمازج، المُوجز، المُزيح، المُوجيز، المُجاز،

الممزوج، المُنقَى، الذَّقِي، المُنْتَقَى، الأنقى، المُستكمل، المُستخلص، المُستَنقَى، الخلوص،  
القسيم، المُقسَّم، المُتقاسم، القاسم، المقسوم، المنقسم، المتقابل، الجامع، المقبول، المجمع،  
المتقبَّل، المستجمع، الموزون، المجموع، المتوازن، الوفير، الموفور، الوزين، المرتَجَز، المسرح،  
المُتسرِّع، المُتصارع، المُستقضَّب، المركَّب، المُتسرِّد، المُقتضَّب، المُجتث، المُطَّرد،  
السريع، المُتَّند، المُنسرِد، المقضَّب، وفي البحر الأخير يقول صاحب المنظومة:

قضَّب من تفاعيل بحرٍ أوزانه محكمٌ ... مفعولاتٌ مستفعلنٌ مفعولاتٌ مستفعلنٌ

مَن منكُمُ يرى فضله في تأسيسه قائماً ... فليُنظِم كما يرتئي المولى حظَّه في المِحَن

ثم: المُخفَّف، المُستطرد، المُنسرَح، الخفيف، المُضارع، المُستهزح، المُجَوِّز، الهزيج،  
المُهزَّج، المرجوز، المُخلط، المُترجِّز، الخليط، المُتراجز، المخلوط، الرجيز، المُخالط،  
المُرجِّز، المُتسارع، المزيد، المُسترجز، المُتراكب، المُتزايد، المُخصص، الخاص، المخصوص،  
الخصوب، المُخصَّب، الرُكوب، المُتركَّب، الخصب، المركوب، المزاد، المزوِّد، المُستزيد، المنفصل،  
الفصل، وفي البحر الأخير أنشأ صاحب المنظومة:

فصلي بحرٌ في وزنك أنغامٌ تحلو فيه ... مفاعيلنٌ مفعولاتٌ مفاعيلنٌ مفعولاتٌ

إذاً فانظّم وانشدْ وغازل محبوباً لا يـ ... —توانى عن حقٍّ في عملٍ كم فيه خُبَرَاتٌ

ثم: المخلوع، الخليع، المفصول، المُتخلَّع، المُستخلع، الصدح، الصدوح، المصداح، الصديح،  
السالم، الصالح، السليم، الصلوح، المُصلح، الجميل، المُجمل، الحميد، المُتخلِّف، المُستجمل،  
الظريف، المحمود، المُستطرف، التابع، التَّبَع، الثَّمل، الثَّمول، المتبوع، الحديث، المُثمِّل،  
المُستحدَث، الجديد، الحليف، المُحلف، المُستحلف، الخلاط، المُشتبك، المُتشابك، المعكوس،  
المُتعاكس، الزَّلَق، وفي البحر الأخير أنشأ صاحب المنظومة:

خذوا زلقاً لنظم جميع الأغراض بالتأثير ... مفاعلتنٌ مفاعلتنٌ مفعولاتٌ مفعولاتٌ

ولا تذروا منا بركم تخلو من لطيف القول ... إذا طربٌ بدا وجرت أنغامٌ لها اثباتٌ

ثم: الذَّلِق، الزَّلوق، الذَّلِيق، الذَّلِيل، الشَّدِب، المُذَلَّل، المُشَدَّب، الشَّرين،  
الأوفر، المُتوافر، الطريف، المُستطرف، الضَّرِب، الطروس، الصَّرِيم، المُستضرب، الطليق، اللاق،  
اللحوق، النشيب، الذَّشَّب، البديع، العزيز، اليسير، النادر، اليتيم، المدق، الأذق، المُستدق،  
الدقيق، المُتسرِّح، وأخيراً المتوفَّر.

أما البحور المجزوءة المسدّسة التفعيلة المتناصفة بين الصدر والعجز فهي البحور التامة نفسها  
ولكن بحذف التفعيلة الرابعة والثامنة من شطري البيت، فيما أن البحور المنهوكة المربّعة التفعيلة  
المتناصفة بين شطري البيت فهي البحور المجزوءة نفسها ولكن بحذف تفعيلة في الصدر ومثلها في العجز،  
على أن بحر الرجز أكثر البحور نهكاً كما يشير المعلق وذلك؛ (لسهولته وخفّته، وشيوعه بين  
الناس، فلهج به الفرسان في الحروب، والمتبتّلون بالدعاء، والمغذّبون منه فصار المقطوعات)، وفي  
الرجز وحلّفاؤه السبعة والملحق: المُبسَّط، المصفي، المقبول، السريع، الرجيز، الثمل، والمركب،  
أنشأ صاحب المنظومة:

انظّم على بحر الرِّجَز ... مستفعلنٌ مستفعلنٌ

خذها رجيذاً أو سريداً ... —عاً أو مصفّياً بالسُّنَن

مقبولك الشافي انتشى ... مُستفعلانٌ مُستفعلانٌ

ثمَّ لِّ وركَّب بينها ... ذا ملحقٌ يا مَن وَطِن

بسطاً عروضاً عازفاً ... مستفعلن مستفعلن°

وهكذا يُضيف المؤلف في منظومته التي تعدُّ كبحوره، جديد في ميدان الشعر العربي القريض، ورغم أني لست شاعراً أو متشاعراً وأحسب نفسي متذوقاً له غير فقيه به، فليس لي أن أزيد على قول الشاعر الجزائري الدكتور عبد العزيز شـبـيـن في تقديمه للكتاب، وهو القائل قول ضليع في البحور والعروض: (لقد أحدثَ الكرياسيُّ في شعرنا المعاصر فتحاً أبسطُ ما يوصفُ به العبقرية والخلود، إنه حقاً ثورة في الأفكار، غيّرت السائد، وجددت القديم، وأخصبت المحدث، وأروت الأظما، ورفعت المكسور، وفتحت المغلق، وذلك لت الصعب، وكشفت خفايا المعاني، وأسلاست شـمـوخَ المباني).